" الأهلي" الجزائري في الخطاب التعليمي- الثقافي الكولونيالي الفرنسي.

- د. يوسف قاسمي
جامعة قالمة

تقديم:

بدأت الحملة الفرنسية ضد الجزائر منذ عام 1827م، حيث استنفر الجيش الفرنسي من مختلف الجهات داخل فرنسا وخارجها، وجهزت البحرية لتنفيذ الحملة بمساعدة عملائها وجواسيسها؛ الذين كانوا يعملون في مختلف الاتجاهات. وقد نزلت القوات الفرنسية بميناء سيدي فرج بعد مقاومة شعبية شرسة، تراجعت فيها المقاومة الوطنية، ورضخ الداي لتوقيع وثيقة الاستسلام بتاريخ 05 جويلية 1830م. بذلك أدخلت الجزائر مرحلة قاتمة من تاريخها اكتنفتها شتى مظاهر الظلم والطغيان، القتل والنهب والسلب، والتخريب؛ بل ممارسة جريمة الإبادة الجماعية في حق السكان الأهالي!! حيث استبيحت مدينة الجزائر لجنود الاحتلال أكثر من أربعة أيام يعيثون فيها فسادا، كما استحوذ الفرنسيون على خزينة البلاد؛ التي كانت تحتوي -حسب تقدير المؤرخين- على الأقل على خمسين مليون دولار ذهبا.[1] إلى جانب بسط يدها على جل الميادين: الدينية، الثقافية، والاجتماعية..

فكانت الحرب ضد الجزائر عام 1830 -على حد تعبير الأستاذ سعد الله- : **"أعظم عمل مهين وعنيف ترتكبه أمة ضد أخرى."**1مكرر وفور استتباب الوضع بالمدينة، شرعت فرنسا في رسم معالم سياستها الاستعمارية بالجزائر؛ التي تمحورت حول ثلاثة أهداف:[2]

1. صنع الجزائر الفرنسية بكل ما يعنيه ذلك من أبعاد.
2. طمس معالم التاريخ والشخصية الجزائرية وإزالتهما من الاعتبار.
3. قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزعزع أمن فرنسا في الجزائر، واستخدام كل الأساليب وتوظيف كل الوسائل لتحقيق ذلك الهدف.

إلى جانب اعتبار السكان الأصليين هم عبارة عن مجموعات فسيفسائية تنتمي إلى عناصر مختلفة متناقضة ومتصارعة؛ تلتقي فقط في صفتي التوحش والتعصب الديني والقبلي! ناهيك عن كونها متخلفة عقليا ووراثيا، فهي غير قابلة للتأهيل أو التمدن. فلا تخضع إلا بالقوة ومن ثم ضرورة استبدالها بعناصر **" إنسانية متمدنة"** كفأة؛ تعمل على تطويع الأولى وتسخيرها في الأعمال الشاقة. كل ذلك من أجل عمارة **" الفراغ العمراني والحضاري"** الذي وجدت عليه الجزائر، يوم دخلها الغزاة الفرنسيين فاتحين _ كما يزعمون _

وشرعت فرنسا في تطبيق سياسة الاستيطان، عبر توزيع المناشير في أوروبا عارضة على الأوربيين من مختلف الجنسيات شتى فرص الهجرة إلى الجزائر؛ حيث ظهر فيها سنة 1860م أكثر من 85 مركزا استيطانيا، يعمرها أزيد من 179600 مستوطنا. ليصلوا عام 1890 م حوالي 210 مركزا استيطانيا يسكنها حوالي 267672

مستوطنا أوربيا.([3]) وعشية اندلاع الثورة التحريرية تجاوز عدد المستوطنين في الجزائر 800.000 مستوطنا.

بالموازاة مع هذه السياسة الاستيطانية، فقد راح الفرنسيون يوظفون كل ما لديهم من قوة ظاهرة أو خفية للقضاء على الإنسان **"الأهلي"**، وتجفيف مصادر ثقافته الوطنية؛ حيث هدمت المساجد وحولت أعداد كبيرة منها إلى كنائس، ثكنات، ومستشفيات...الخ. كما وجه الاستعمار ضربات قاسية للمثقفين الجزائريين: اضطهادا، سجنا، نفيا وتقتيلا... وظل يطاردهم قصد منعهم من أداء واجبهم في الحفاظ على الشخصية القومية للمجتمع الجزائري.

في هذه الورقة تتبع لعناصر ومحددات السياسة الفرنسية تجاه الإنسان الجزائري أو **"الأهلي"** كما دعي، أساليبها المعتمدة في مصادرة وجوده وإحلال المستوطنين مكانه. ثم استعمالهم للنص التعليمي والثقافي في محاربة وجوده وكيانه الحضاري، والعبث بالقيم الدينية والثقافية الوطنية - قصد المسخ والتذويب، ومحو كيان الأمة للنيل من هويتها الوطنية.- وسنلتزم الفترة الممتدة من مطلع القرن العشرين حتى اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م، لرصد ملامح وتجليات هذه السياسة وتداعياتها الخطيرة على تماسك ووحدة الفرد والمجتمع الجزائري.

إشكالية الموضوع ستبحث في سياق المنهج التاريخي التحليلي، وضمن عناصر الخطة التالية:

1- النظرة التمايزية العنصرية الفرنسية حيال الإنسان **" الأهلي"** الجزائري.
2- النص التشريعي التعليمي وموقفه من الفرد **" الأهلي"**..
3- الموقف الثقافي الفرنسي من عناصر الهوية الثقافية **" للأهلي"** الجزائري.
4- خلاصات تحليلية إستنتاجية لتفاعلات وتداعيات هذه السياسة على حياة الجزائريين.

نأمل التوفيق في إحداث مقاربة تاريخية - اجتماعية تجلي إشكالية الدراسة، وتمكن من إبراز العناوين الكبرى لهذه السياسة العنصرية المخالفة للقيم الإنسانية -الجامعة بين الشعوب في كنف الوئام والسلام- لا المكرسة لغرائز العدوان والتمايز وروح الاستعلاء؛ المدمرة للإنسان وقيمه النبيلة أولا وأخرا.

1- النظرة التمايزية العنصرية الفرنسية حيال الإنسان العربي "الأهلي" الجزائري

أسس الفكر الاستعماري الكولونيالي وجوده الاجتماعي، المادي، والسياسي على خلفية كون الجزائر بلدا مجهولا عند الأوروبيين قبل الغزو الفرنسي لها، واجتهد منظروا الاستعمار من الرحالة والجغرافيين، الكتاب والأدباء، والمؤرخين... وغيرهم، في الترويج لهذه الأكذوبة. وقد نتج عن ذلك نشر صوره مرعبة عن السكان الجزائريين؛ مضمونها يؤكد صفات الجنس البدائي البربري المتوحش لهذا الكائن الغريب**!!** وقد شاعت هذه الصورة وتلك الأوصاف لدى المشتغلين بالدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية، والمهتمين بالبنية الثقافية والنظم السوسيولوجية... مثل: " كاتل"، " بندكت" ، " دوركايم" ، " موراي" ، " ليفي شتراوس"... الخ. هذا ما دفع شخصا مثل الجنرال الباحث " هانوتو" يقبل – وبكل وقاحة – على إصدار حكما صريحا بالإعدام على الشعب الجزائري، والمطالبة بتنفيذه فورا؛ في رسالة وجهها "لإسماعيل اوربان" عام 1863م، للتخلص من هؤلاء المتوحشين. يقول: **(إن مسألة العرب قد قبرت نهائيا، لم يبق لهم سوى الموت أو الهجرة، أو قبول خدمة أسيادهم الأقوى، هل يستيقظون قبل أن تطلق عليهم رصاصة الرحمة؟ أتمنى لهم ذلك.)**[4]

هكذا تبدو العقلية الجماعية للإنسان الفرنسي خاصة والمجتمع الغربي عامة، عنوانها الأبرز هو تبرير لفعل الاستعماري، تحت عنوان " **إدخال الحضارة** " لشعب يحيا في ظل الهمجية و البدائية. و عليه فقد تعامل هؤلاء الغزاة الفرنسيين مع السكان الجزائريين بعقلية الفاتح، و تلك مضمون الفكرة التي عبر عنها الجنرال "لموريسيار" بقوله: (**يبدو لي أن الحرب، حين يتعلق الأمر بشعوب متخلفة، عمل تبشيري خاصة بالنسبة إلى أناس لا يعرفون غير السلاح كلغة اقتناع، و إنني أعتبر الاحتلال وسيلة كبرى لتوريد الأفكار(...) ففي الحدود الفاصلة بين المدنية والهمجية لا بد من وجود رجال يحملون السيف.**) (5)

وتبدو لنا رائحة العنصرية الكريهة المشكلة لطبيعة العلاقة بين الوافد الغازي من ناحية، و بين السكان الأصليين الجزائريين من ناحية ثانية جعلها - نتيجة سلوكيات الاحتقار و النظرة الدونية، يضاف إليها الخوف من " العربي " أو " الأهلي" لاحقا؛ قد مثل ذلك الهاجس الذي سكن العقلية الاستعمارية- تولد التفاوت و التمايز كقاعدة للتعامل.

وقد عبر عن هذه النظرة التمايزية العنصرية في حق السكان الجزائريين الأصليين أستاذ القانون بكلية الجزائر " إميل لرشي " عام 1903م، حينما أورد قائلا: (**إن وضع الفرنسيين اليوم بالجزائر شبيه بوضع الإفرنج في غاليا القديمة : جنس غالب يفرض هيمنته على الجنس المغلوب، هناك إذا أسياد و رعايا، أصحاب الامتيازات و أناس لا امتيازات لهم ، فلا محل هناك للمساواة.**) (6)

على خلفية هذه الأفكار العنصرية التمييزية بنيت جميع المعاملات الاجتماعية والثقافية والسياسية، و تأسست كما عملت مؤسسات الإدارية والحكم في البلاد. ومن ثم اصطبغت الإيديولوجية الاستعمارية – كما يقول الأستاذ محمد حربي- سواء اكتسبت شكل الليبرالية أو العلمانية، أو المسيحية، أو حتى الشيوعية... فكلها تغذت من واقع هذه الثقافة العتيقة، التي تجعل من أوروبا – مهد العقلانية و التقنية الحديثة – هي النموذج و المرجع الذي يدور حوله تاريخ الإنسانية كله ! و عليه نظر الفرنسيون إلى المجتمع الجزائري على أنه مجتمع متخلف مفطور على سلوكيات و ممارسات فاسدة ومن ثم فإن الجزائر- في نظرهم – **" متاع لا صاحب له!"** فمسؤولية الفرنسيين هي الحفاظ عليها، و استغلالها بالطريقة التي يرونها ملائمة ! فالفضل الأول لذلك يعود إليهم كمنقذين لها من الضياع ! ؟ لأن " الأهلي" الجزائريين خاصة ينصب تفكيره فقط حول فكرة الهدم لكل ما هو مشيد، ومن ثم فسكان الجزائر هم أعداء لأنفسهم من جهة و أعداء لمن يريد إنقاذهم و تحضرهم من جهة ثانية ! فالواجب الاجتماعي و الأخلاقي يلزم هؤلاء المتمدنين من الفرنسيين- الكولون الأوروبيين، ضرورة العمل والاضطلاع بالرسالة التمدينية لأولئك الهمج المتوحشين لتأهيلهم لاكتساب السلوك الآدمي! في سبيل ذلك عملوا لتحقيق هذا الهدف المشروع والنبيل، سعى المحتلون إلى إعطاء وإضفاء الشرعية الأخلاقية و الواقعية على أفعالهم وسلوكياتهم العدوانية تجاه " الأهالي"؛ بما فيها استخدام القوة كوسيلة لذلك. منطلقين من مسلمة مفادها أن الجزائر من الأراضي التي يجوز تملكها شأن كل البلدان: (**التي لا تخضع لسيادة منظمة سواء كانت خالية من السكان أو مسكونة من طرف مجموعات محلية متوحشة غير منظمة سياسيا.**)(7)

الحقيقة أن الفرنسيين وغيرهم من المستعمرين تستروا خلف هذه الأوهام و المغالطات... لتجاوز القيم الإنسانية النبيلة، و دوس الأعراف الدولية، و ليحكموا المجتمعات الضعيفة بشريعة الغاب. متكئين في ذلك على اختلال ميزان القوة العسكرية

في ذاك الوقت و بعده؛ وهو ما يكشف على أن هذه المجتمعات في جانبها الأخلاقي لا تزال تسكن ظلام القرون الوسطى. و أن نظرية **"العدل والإنصاف"** عندها مرهونة بنظرية القوة.(8)

نتيجة لكل ذلك اعتقد المستعمرون أنهم وحدهم من يحق له أن يقرر مصيرنا و يحدد ساعة التحرير، ومن رفضوا كل صيغ التفاهم و المبادرات الوطنية؛ لبحث الحلول المناسبة لوضعية الاحتلال. و هو الأمر الذي يتطلب – في نظرهم – ضرورة استعمال كل وسائل الحرب: النفسية والثقافية، المادية والاجتماعية، السياسية والعسكرية... الخ، لقهر وإخضاع هذا الكائنات المتوحشة. الأمر الذي ولد لدى الجزائريين – بحسب القانون الفيزيائي الشهير- رد فعل مضاد وعنيف كقناعة؛ جاءت كنتيجة ومحصلة طبيعية؛ ووسيلة شرعية و ثورية للتخلص من هذا الكابوس الاستعماري.

2- **النص التشريعي التعليمي وموقفه من الفرد " الأهلي"**..

يجمع الكتاب والمؤرخون الذي تناولوا الواقع الاجتماعي والثقافي للجزائريين، وأرخوا لحياتهم عشية الاحتلال الفرنسي لبلدهم وعقبه، أن التعليم فيها كان منتشرا على نطاق واسع في المدن والأرياف، وأن نسبة الأمية فيها كانت محدودة بل أقل من فرنسا نفسها. يقول الدكتور سعد الله - : (**منذ نهاية القرن 16م أصبح بعض الكتاب يتحدثون عن الجزائر باعتبارها "اسطنبول الصغرى" لمكانتها الدينية والعلمية والاقتصادية**.)(9) و تمكن المجتمع الجزائري يضيف سعد الله -: **(من بلوغ مرحلة المجتمع الواعي المتماسك والمتجاوب ضمن قيم وعادات وتقاليد مستمدة من التشريع الإسلامي التي تشكل عامل وحدة قوية في المجتمع**.)(10)

كما أورد " أوربان" عام 1846م تأكيدا في هذا؛ بأن نسبة الأمية الجزائر ليست أكثر من فرنسا. يقول: (كان التعليم في الجزائر سنة 1830 يساوي مثيله في فرنسا سنة 1845، ففي بايلك الجزائر كان هناك مابين2000 و 3000 شاب يتلقون تعليما يؤهلهم لمرحلة أعلى، وتتضمن الدراسة علوم القرآن، وأصول الدين، والحساب، ومبادئ الهندسة، والجغرافية، والتاريخ..)(11)

هكذا فإن جل أفراد المجتمع تقريبا كانوا يعرفون القراءة والكتابة، بل تكاد الجزائر تخلوا من الأمية، لكن من يواصلون تعليمهم العالي كانوا بالتأكيد قلة. هذا الواقع الايجابي – بمنطق وإمكانات ذلك العهد – لم يعجب الفرنسيين المحتلين، ورأوا فيه عائقا حقيقيا يحول دون تحقيق أهدافهم ومشاريعهم في السيطرة والاستغلال، و في إخضاع السكان " الأهالي" وإظهارهم بمظهر المتخلفين الذين يجب العمل على تحضرهم! ومن ثم فقد رسموا سياسة تعليمية – ثقافية جديدة للسكان؛ قامت ابتداء على هدم ما هو قائم من واقع تعليمي، ثم القضاء على المكونات والعناصر الثقافية للهوية الوطنية... لضمان تجهيل السكان " الأهالي" وبالتالي إحكام القبضة والسيطرة على مقدرات البلد المعنوية والمادية. وفيما يلي تتبع لهذه السياسة آثارها على الجزائريين.

أ - السياسة الفرنسية تجاه الدين الإسلامي واللغة العربية:

المعروف لدى الجميع أن الجزائر تحظى بدينها، لغتها، تاريخها، ثقافتها، وشخصيتها القومية... فكيف واجه الفرنسيون تلك المنظومة الفكرية والحضارية العريقة والمتأصلة ؟ خاصة العقيدة الإسلامية التي تصورهم -في نظر معتنقيها- بأنهم كفارا ! ماذا عملوا لأجل الاتصال بالمسلمين ومحاولة إقناعهم بغير ما يعتقدون بشأنهم؟.. خصوصا وأن الفرنسيين كانوا يدركون تموقع الدين الإسلامي ومكانته باعتباره يمثل العامل الرئيسي

والعنصر الغالب في الثقافة الجزائرية؛ كما كانوا يدركون بأنه المغذي والمحرك الأول لكل المقاومات الوطنية؛ باسم الجهاد وتحت راية كلمة الله أكبر. لقد كان الإسلام يمثل عقيدة الجزائريين الأولى منذ أربعة عشر قرنا؛ استحوذ ببعديه الروحي والسلوكي على مشاعر الجزائريين ليحدد شخصيتهم ونمط حياتهم... فاحتمى به الجزائريون كما ارتبطوا بمؤسساتهم الثقافية: كالزوايا والكتاتيب، والمدارس الحرة التي كانت تملأ أطراف البلاد طولا وعرضا؛ تعطي التعليم العربي، وتشبع نهم الجزائريين روحيا، كما تربطهم بماضيهم وتزودهم بسلاح قوي يمكن من استمرار عمليات المقاومة والوقوف ضد محاولات التذويب للشخصية الوطنية لصالح شخصية المستعمر الدخيل. ويمكن أن ننعت هذا التعليم-كما يصفه-الأستاذ سعدا لله-: **"بالتعليم الإيديولوجي الوطني.)(2[1])** تدعم هذا النوع من التعليم بإنشاء المدارس الحرة، مثل: مدرسة الشبيبة، ومدرسة الفلاح... وغيرهما.

12- أبو القاسم سعد الله، **أفكـار جامحـة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزائر 1988، ص 27

وقد هيأتا لاحقا ل وقد مثل ذلك نوعا من التعويض الذي افتقده الجزائريون خلال القرن19 م.(13) ظهور إيديولوجية ثقافية جديدة في الجزائر مع مطلع القرن العشرين. دعمها الإصلاح والوطنية.

ويصنف سعد الله الاتجاهات الفكرية والثقافية الوطنية خلال القرن 19 ومطلع القرن20 م، بل حتى عشية اندلاع الثورة إلى ثلاثة أنواع:

1. اتجاهات دينية بأنواعها: التقليدي، المعتدل، والإصلاحي.
2. اتجاهات سياسية بأنواعها: الثوري، المعتدل، العربي الإسلامي، والعالمي.
3. اتجاهات ثقافية بنوعيها: المعرب، والمتفرنس-التغريبي. (14)

هكذا فقد تأثر الواقع الثقافي الجزائري خلال هذه الفترة بعاملين كبيرين:

1. التأثير العربي الإسلامي المشرقي: متمثلا في الحركات الإصلاحية، الصحف، الكتب، والمسرح... الخ.
2. التأثير الفرنسي الأوروبي: بواسطة اللغة، المسرح، المدرسة، الكتاب، الموسيقى والصحيفة... وكذا الوسائل السياسة والقانونية التي نافست التأثير الأول؛ بل هددت الشخصية الوطنية بالذوبان والاضمحلال.

فكانت سياسة الفرنسة تهدف بالدرجة الأولى إلى السيطرة على المؤسسات الدينية الجزائرية، جندت القساوسة **"الآباء البيض"** ووظفتهم لمحاربة تلك المؤسسات بشتى أنواع التحريف والتزييف. بدأ هذا العمل منذ إصدار الجنرال كلوز يل قراره في 1830/12/07م القاضي بحجز كل الأوقاف وضمها إلى أملاك الدولة.)5[1]) وكان غرضهم الأول من القرار هو إرباك المؤسسة الدينية الإسلامية، ثم إضعاف دورها وتأثيرها الاجتماعي والثقافي. وقد جاء تصريح الحاكم العام الفرنسي "روفيقو" سنة 1832م بقوله:" **يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إله المسيحيين... عجلوا بذلك، فجامع كتشاوة هو أجمل مسجد في المدينة."** (16)

وقد هدف الفرنسيون من وراء هذه القرارات إلى تحقيق أهداف مادية؛ تتمثل في الاستفادة من هذه الأملاك ومواردها ثم توزيعها على المستوطنين الجدد، إلى جانب الهدف السياسي-غير المعلن- وهو: حرمان عدد كبير من العلماء ورجال الدين والمثقفين الذين كانوا يعيشون من الأوقاف في حرية شبه تامة بمعزل عن أعين السلطة الاستعمارية

ورقابتها !.. وقد ساعدهم ذلك على التفكير الحر واتخاذ المواقف المناسبة في الحياة دون ضغوط. أضف إلى ذلك فأن مؤسسات الأوقاف كانت تمثل –بالنسبة للجزائريين- خلايا ثقافية، سياسية، ودينية... وقلاعا تضم أصحاب الرأي المعادي للفرنسيين.[17])

هكذا فقد شجعت الإرساليات التبشيرية المسيحية في القدوم والنشاط بالجزائر، ووفرت لها جميع الظروف الملائمة لتنصير أطفال الشعب الجزائري؛ خاصة اليتامى والمشردين. حيث استغلت أوضاعهم المعيشية والصحية المتدهورة -نتيجة سياسات التفقير والتجويع المطبقة- للقيام بهذه المهمة الدنيئة. وزادت حدة الوضع تفاقما عمل المبشرين في التنصير، على إثر مجاعة 1867-1869م؛ التي أصابت وضربت المجتمع الجزائري في الصميم..!؟ وقد استغلها الساسة الفرنسيون ليطلقوا تصريحاتهم الحاقدة؛ من ذلك أن الجنرال بيجو كان يجمع أطفال الجزائريين اليتامى ويمنحهم للقساوسة قائلا لهم:**"حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار.**[18]) و قد تولى الكاردينال **"لافيجري"** مسؤولية تنفيذ سياسة تنصيرية واسعة في النصف الثاني من القرن 19م ، حددها بقوله :**"علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية، تضاء أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل .... تلك هي رسالتنا."**

هكذا فقد جرد الإسلام من معظم مؤسساته الدينية، الثقافية، والاجتماعية... فبعد أن كان موجودا في مدينة الجزائر العاصمة و حدها سنة 1830م: 13 جامعا كبيرا و 109 مسجدا و مصلى، و 12 زاوية...الخ؛ لم يبق منها في سنة 1962م سوى: 04 جوامع كبيرة و 08 مساجد صغيرة، و 09 مصليات..؟ ! [19])

وتعكس هذه الأرقام فضاعة و لا أخلاقية الجريمة الفرنسية المرتكبة في حق الإسلام و معتنقيه بالجزائر؛ هذا ما يبطل دعوى **"التسامح الديني "** التي طالما تغنى بها قساوستهم و رهبانهم ! ؟ كما تعكس من جانب آخر بأن الحركة التنصيرية بالجزائر لم تكن بمعزل عن الخطط السياسية و العسكرية للاستعمار، بل كانت العلاقة وطيدة بين الجندي ورجل الدين والسياسي... عملوا لتحقيق هدف مشترك واحد هو التوسع الاستعماري المجرد من كل قيمة أو بعد أخلاقي و إنساني. هذا عن واقع الإسلام وما حاق به ولحقه من ظلم وامتهان من قبل المستعمرين. **فماذا عن اللغة العربية ؟**

إبتداءا يمكن التأكيد على أن اللغة العربية هي لغة الإسلام ووجه عملته الثاني؛ باعتبارها لغة القرآن الكريم، فلا عربية بدون إسلام و لا إسلام بدون عربية ! لقد ظلت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية يتحدث بها معظم فئات الشعب الجزائري –إلى جانب لهجاتهم المحلية المتعددة- والواقع الاجتماعي كما التاريخ الجزائري يؤكدان، كما تؤكد طبيعة الذهنية و التكوين النفسي للفرد الجزائري بأن اللغة العربية والإسلام صنوان. و قد عبر عن ذلك الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي حين قال أنهما: (**... شيئان متلازمان حقيقة وواقعا، لا يمكن الفصل بينهما و محاولة الفصل بينهما كمحاولة الفصل بين الفر قدين.** [20])

ونظرا لهذا التلاحم و الارتباط الوثيق بينهما فقد تنبهت الإدارة الاستعمارية لذلك مبكرا، كما أدركت أنه لا يمكن القضاء على الإسلام كمغذي لمقاومة الشعب الجزائري، ما لم يتم التخلص من اللغة العربية لسانا وروحا! بذلك فقد عملت على تجنيد وسائلها المختلفة -منها التي تم ذكرها سابقا- للقضاء عليها. فأبعدتها من التعليم و حلت محلها اللغة الفرنسة، كما أغلقت مدارسها الحرة... فدشنت بذلك مرحلة صراع شرس بين لغتها الغازية (الفرنسية) و لغتنا المغزوة (اللغة العربية). و شجع تعلم اللغة الفرنسية لا

لغرض التثقيف النزيه بل بهدف زحزحة العربية عن عرشها في نفوس وعقول وألسنة الجزائريين. ومن ثم السعي إلى تكوين فئة من الجزائريين متعلقة بلغة المستعمر تتشبع بآدابها ثم تتولى بعد ذلك رفع لواء الدعوة إلى فرنسة النفوس، العقول، والألسن... كما التعلق بثقافة و حضارة المستعمر. كل ذلك كتمهيد لتطبيق سياسة الإدماج الثقافي واللغوي للجزائريين لاحقا.

و قد لاحظ الجنرال "فيالارد".vieillard " أحد القادة العسكريين الفرنسيين بالجزائر، سنة 1834م أن العرب كلهم يتقنون القراءة و الكتابة، و في كل قرية كانت توجد مدرستان")[21]) تدرس – طبعا- باللغة العربية. و لأجل التخلص من هذه المدارس العربية، عمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى إنشاء مدارس فرنسية وأخرى عربية تابعة لها؛ لتكون لها خبرة تعيق بل تمنع نشاطها. و أول مدرسة فرنسية في مدينة الجزائر أنشئت سنة 1836م، ثم تلتها مدارس أخرى حتى بلغ عدد المتمدرسين فيها سنة 1850 حوالي 646 تلميذا. لكن هذا النوع من التعليم اصطدم برفض الجزائريين له لسببين:

أ- وطني: لأنه خال من اللغة العربية و الدين الإسلامي، والتاريخ العربي الإسلامي و بالتالي فهو متعارض مع مقومات شخصيتنا القومية و الحضارية.

ب- استعماري: ويتعلق بفرنسا و خوفها من انتشار التعليم بين الجزائريين وتكافؤهم مع أبناء المستوطنين، وما يشكله ذلك من خطر على المدى البعيد؛ فالشعب الجاهل في نظر المستعمرين أفضل من الشعب المتعلم للسيطرة عليه بسهولة.)[22])

يظهر من خلال ما سبق عرضه أن الإستعمار الفرنسي سعى لئن يتخذ من المدرسة أداة لتنفيذ سياسته في محاربة اللغة العربية و قلعها من ألسنة ووجدان الجزائريين؛ حيث جعل منها كما يقول الأستاذ رابح تركي: (وسيلة مثالية لتجريد الشعب الجزائري من شخصيته العربية الإسلامية: تدريجيا أفضل من أن يستعمل معه القوة و الضغط لحمله على ذلك لتحققه من فشل هذه الوسيلة على المدى البعيد.)([23])

ومن الأهداف التربوية التي رسمها الفرنسيون في سياستهم التعليمية تجاه اللغة العربية:

- إصدار قوانين تؤكد على أن اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في البلاد وأن تمنع تعليم اللغة العربية ممنوع، واعتبارها لغة أجنبية و هامشية .ومن أشهر هذه القوانين "قانون شوطان " الحاكم العام الفرنسي في الجزائر الصادر سنة 1938م، الذي أعتبر فيه أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، و النص على رفض السلطات منح الجزائري تصريحا يسمح له بفتح مدرسة و يشترط مقابل السماح بذلك:

1- اقتصار التعليم العربي على حفظ القرآن .
2- عدم التعرض لتفسير آياته خاصة آيات الجهاد ، الرافضة للظلم .
3- استبعاد الأدب العربي بجميع فنونه وروائعه المكتوبة باللغة العربية
4- استبعاد دراسة التاريخ الجزائري و العربي الإسلامي و جغرافية الجزائر و البلاد العربية

وتصدى الجزائريون لهذا القرار الجائر واعتبروه مساسا بمقدساتهم ومقوماتهم و مقوماتهم الوطنية والحضارية. و كان لجمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ **" عبد الحميد بن باديس "** –رحمه الله- الموقف المشرف في ذلك. حيث سجل هذا الموقف في جريدة البصائر بقوله: **(... إن الذين يحاربون العربية فهم يفرقون و يشوشون، فسيندمون و تنتشر العربية بقوة الحق و الفطرة و هم كارهون."**)[24])

وفي سبيل الوقوف في وجه هذا القرار وغيره، فقد ألح العلماء والمثقفون في الجزائر منذ البداية على ضرورة تعلم العربية حتى للجزائريين الذين تثقفوا ثقافة فرنسية؛ حيث اعتبروهم **(كنوزا ضائعة** يجب استرجاعها. كما أولوا الاهتمام و العناية الكبيرة لإحياء وبعث اللغة العربية وعلومها التي كادت أن تندثر في الجزائر؛ لولا الجهود المخلصة للوطنيين الجزائريين الذين آمنوا بذلك التلازم المنطقي والتاريخي بين اللغة العربية والوطنية الجزائرية، فلا يمكن أن يفهم أحدهما دون الآخر وبالتالي فقد مكنوها من المكانة اللائقة بها.

ب - سياستها تجاه المؤسسات الثقافية الوطنية الأخرى:

عرفت الجزائر قبل وقوع الاحتلال الفرنسي عليها تطورا علميا و ثقافيا هاما، حيث كان كل جزائري تقريبا يعرف القراءة و الكتابة؛ والفضل في ذلك يعود إلى التعليم العربي الحر الذي كان سائدا آنذاك، وكانت ترعاه المؤسسات الدينية: كالزوايا، الأوقاف، وكذا المؤسسات الخيرية، وبعض المحسنين من أصحاب النفوذ والوجاهة والعلم. فكان سكان كل قرية و دوار ينظمون بوسائلهم الخاصة و طرائقهم البسيطة والتقليدية مع الاعتماد على إمكانات ذاتية محدودة: تعليم القرآن الكريم، علوم الحديث، الفقه، و اللغة العربية وآدابها ومتونها الشعرية... وعلوم أخرى كالحساب، التاريخ، الفلك، و الطب... و غيرها من العلوم الحديثة. ولم تكن متطورة عن غيرها من الأقطار العربية في مجال الثقافة وانتشار القراءة و الكتابة فحسب بل:(**بلغت مرحلة من التطور الاجتماعي، والاقتصادي حسدتها عليه الدول الأوروبية الغربية.**[26] وتشير بعض التقارير الفرنسية في بداية الاحتلال إلى أن التعليم العربي في الجزائر:**(كان حسنا ومنتشرا في القرى والأرياف مما جعل بعضهم يعتقد انه يتوازى والتعليم الفرنسي كميا على الأقل في فرنسا ذاتها.**[27])

من هنا فإنه يمكننا أن نستنتج بأن تطور المجتمع الجزائري تعليميا وثقافيا... تعكسه بصورة أدق – تطور المدن الجزائرية؛ لا بعدد سكانها فحسب بل بعدد مؤسساتها التعليمية أيضا. تلك المتمثلة خاصة في المدارس الحرة، المساجد والزوايا، الكتاتيب، والنوادي الثقافية. وقد أشرنا من قبل إلى إحصائية بشأنها في مدينة الجزائر كمثال، لكنها لم تكن مقتصرة على العاصمة بل توزعت على مدن قسنطينة، بسكرة، عنابة، بجاية، مازونة، و تلمسان... وغيرها .

كان منظرو الإستعمار والمختصين في الشؤون الجزائرية يعتقدون أن المدرسة الفرنسية لن تقوم إلا على أنقاض المدرسة العربية التقليدية ! لأجل ذلك خططوا لإيجاد نظام تربوي تعليمي استعماري في الجزائر؛ بهدف القضاء على التعليم العربي الحر ومصادره الثقافية، ثم الوصول إلى إعطاء تعليم جاد وناجح لأبناء المستوطنين يؤهلهم لتقلد وظائف ومسؤوليات جزائر الغد..! أما الجزائريين وأبنائهم فقد نظر إليهم نظرة السيد لعبده ! وما قدم لهم من تعليم سواء بالعربية آو بالفرنسية فيوجه فقط لتكوين "علماء" يولونهم وظائف دينية رسمية: كالإفتاء، القضاء، والإمامة و التعليم... و بعض الوظائف الإدارية المحدودة للمتعاونين معهم في المكاتب العربية وإدارة الشؤون الأهلية" وغيرها.

فالملاحظ أن هذه المدارس هي في الغالب:" مدارس المستشرقين الفرنسيين في بدايتها، لكن بعد " **الاستعراب** " على الطريقة الفرنسية المطبقة في المدرسة في النصف الثاني من القرن 19م ومطلع القرن 20 م؛ تخرج جزائريون من تلك المدارس توزع عليهم تلك الوظائف. و قد صرح الجنرال "شرام" وزير الحربية في حكومة باريس يوم:

1850/08/06م قائلا: **(... بعد حرب دامت 17 سنة، فإن الآن يتعين على فرنسا القيام برسالتها الحضارية، بإرساء قواعد التعليم الفرنسي في الجزائر.)**[28] وفيما يلي معطيات إحصائية تعكس جوانب من هذه السياسة الفرنسية المتبعة تجاه أطفال الجزائر؛ بهدف فرنستهم و تغريبهم، أو فرض واقع الأمية و التجهيل على الجزائريين، وسحق التعليم العربي عبر تضييق الخناق على مؤسساته الشعبية للقضاء عليها في النهاية. لتسهل بعدها السيطرة على الجزائريين وتذويب شخصيتهم الوطنية العربية الإسلامية، وبالتالي قتل روح المقاومة والجهاد في نفوسهم ضد المحتلين الفرنسيين لأرضهم، المنتهكين لحرماتهم و مقدساتهم:

واقع التعليم العمومي الفرنسي في الجزائر الموجه للجزائريين مابين 1872-1887م

السنة	عدد التلاميذ الجزائريين المتمدرسين	النسبة المئوية
1872	3172	0.62
1883	4095	0.77
1887	9064	01.69

لقد بلغ عدد التلاميذ الجزائريين البالغين سن الدراسة سنة 1896م أكثر من: 535389 تلميذا، التحق منهم بالمدارس الفرنسية:10631 تلميذا؛ أي ما نسبته: 01.98% والرقم غني عن أي تعليـق!

وما يعكس كساد التعليم الفرنسي الموجه للجزائريين وعدم جدية القائمين عليه؛ المقارنة الموالية من خلال عينة بين واقع التعليم المذكور والتعليم الموجه للمستوطنين في الجزائر ليوضح التباين الصارخ و اللامساواة بل العنصرية الممارسة تجاه أطفال الجزائر.[29]

السنة	تعليم الأهالي	%	تعليم الأوروبيين	%
1920	45341	4.4	32979	72.7
1928	55476	3.4	84344	91

واستكمالا لهذا العنصر فإننا سنورد إحصائيتين عن واقع التعليم الأهلي بالجزائر عشية اندلاع الثورة التحررية المباركة، تعكسان غياب الضمير الأخلاقي والإنساني في النظام التعليمي الفرنسي المطبق في الجزائر، كما تخدمان نفس الغرض السابق ذكره. فالجدول الأول عبارة عن إحصائية فرنسية رسمية سنة 1953م توضح انتساب الأطفال الأوروبيين والمسلمين إلى المدارس الفرنسية:[30]

عدد السكان	عدد المتمدرسين في الابتدائي	في الثانوي	في التعليم العالي	%
الأوروبيون 01مليون نسمة	135000	24 ألف طالب	5132 طالبا	% 100
الجزائريون 10من/ن	266000	4159 طالبا	507 طلبا	% 13.5

- أما الجـدول الثاني فيخص حصيلة التعليم الموجه للجزائريين سنتي: 1955/1954 م[31]

المتمدرسون / الجزائريون السنة	في الابتدائي	في الثانوي	في التعليم العالي
1954	302000	6260 عادي 515 تقني	589 جامعي 5187 مهني
1955	322700	/	/

يذكر عدد النخبة الجزائرية ذات التكوين الفرنسي على النحو التالي: 354 محاميا، 28 مهندسا 185 أستاذا، و 165 طبيبا وصيدليا!؟

وعلى الرغم أن هذه الفئة الأخيرة لم تتلق تعليما آخر سوى التعليم الاستعماري، إلا أن متّكأ غالبيتهم كان صلبا لا يلين ولا يتأثر غالبا بغير الثقافة التي تغذوا بها وهم في المهد؛ أي داخل الأسرة ومن البيئة الاجتماعية لطفولتهم الأولى. هذا ما أكده فرحات عباس -وهو واحد من هذه النخبة الجزائرية المفرنسة- حين قال: (**ثقافتنا لم تفصلنا عن شعبنا بل بقي فكرنا دائما عالقا به.)** [32][3]

إن ما يمكن أن نخلص إليه من خلال تتبعنا لواقع التعليم والمؤسسات الثقافية إبان الفترة المدروسة القول: أن نسبة تعلم أبناء و بنات الجزائر 1830-1954 م و ما بعدها وحتى نهاية الاحتلال؛ لم تتجاوز 08 % ممن هم في سن التعليم، بل تقل كلما صعدنا السلم التعليمي. وبصفة خاصة بين الرجال الذين بلغت الأمية عندهم 95% و بين النساء الجزائريات 99% ؛ حيث يعتبرها "محمد حربي": أكثر من 85% بين الجنسيين! ففي التعليم الابتدائي يمثل أبناء المستوطنين 5/4 حظوظ أبناء الجزائريين، و يصل عددهم:08 أضعاف أبناء الجزائر، و في الثانوي يصلون 36 ضعفا بينما في التعليم الجامعي 192 ضعفا وتحديدا في جامعة الجزائر- و هي الجامعة الوحيدة آنذاك! - حوالي 15 مرة حظ الجزائريين في المدارس المهنية [33][3] هذا حتى عشية اندلاع الثورة التحريرية. وبذلك يظهر جليا بأن النظام الاستعماري الفرنسي قد جند كل الوسائل المادية والفنية ليشجع إستيلاب

الشعب الجزائري ثقافيا وحضاريا؛ على اعتبار ذلك الوسيلة المثلى لإخضاعه والتحكم فيه بصفة مستمرة و دائمة.

وقد أورد الأستاذ "محفوظ قداش" إحصائية نقلها عن المؤرخ الفرنسي " روبرت أجيرون " تؤكد مستوى انهيار التعليم بين أبناء الجزائر خلال هذه الحقبة. إذ أكد ضياع التعليم القرآني والعربي لجيل كامل؛ ففي قسنطينة مثلا انخفض عدد التلاميذ من: 600 إلى60 تلميذا، وعدد المدارس من 66 إلى ثلاثين.[34] وعلى الرغم من كل الأفعال المنافية للمبادئ القانونية والأخلاقية، الممارسة في حق الجزائريين ثقافيا و السعي إلى إدماجه مدنيا وسياسيا... إلا أن تمسك المجتمع الجزائري بكيانه المدني، اللغوي، والديني... كان يعكس بحق مدى تعلقه بتراثه و انتمائه الثقافي العربي الإسلامي. فنشأ جيل كامل من الجزائريين في القرى والأرياف والمدن الجزائرية الكبرى؛ تربي في حضن قيمه الوطنية والحضارية كما تمسك بأصالته العربية الإسلامية. فأعطى بذلك نفسا وروحا جديدين للتعليم العربي في الجزائر. وإحياء جذوة الإيمان والعقيدة في نفوس وقلوب الجزائريين، كما رفض الإدماج وكل صور التبعية. فالنخبة المثقفة المعربة بالأساس هي التي اضطلعت بمهمة حماية كيان وهوية المجتمع والأمة، كما الذود عن الكرامة و المقدسات. فهيأت بعملها ذاك الظروف الملائمة لعملية التحرير الوطني؛ عبر توفير شروط ميلاد

جيل نوفمبر؛ الذي فجر الثورة في وجه العدو الفرنسي، فقضى على أحلامه وأوهامه معا ! ؟

3- ***الموقف الثقافي الفرنسي من عناصر الهوية الثقافية " للأهلي" الجزائري.***

ادعت فرنسا منذ احتلالها الجزائر أنها لم تجد أمامها دولة ذات سيادة، بل وجدت قبائل و أعراش متشاجرة متخلفة تعرضت لغزوات عدة منذ فجر التاريخ من قبل: الو ندال، الرومان، العرب، والأتراك... وأنها جاءت لإنقاذ الجزائريين و تحريرهم من نير الاستعباد التركي. (35) وقد تسلح العسكريون الفرنسيون بمجموعة من الكتاب والمؤرخين الاستعماريين الذين جندوهم من بلادهم ومن غيرها؛ ليثبتوا صحة الدعوى التي تزعم فيها الحكومة الفرنسية أنها لم تكن ترى: **"أن البلد المحتل كان يتمتع بسيادة و استقرار وتنظيم سياسي مستقل، وهذا لم يكن موجودا في الجزائر، التي لم تكن أبدا دولة مستقلة بل كانت دائما خاضعة لسيادة أجنبية... و كانت عند احتلالها من طرف فرنسا في حالة فوضى ! وحتى لو فرضنا انه احتلال، فيجب الاعتراف بأنه كان في مصلحة كل الأمم المتحضرة، وانه نال شرعيته بموافقة كل السكان عليه."** (36)

بهذه الصورة القاتمة قدم الفرنسيون تاريخ الجزائر، وسعوا إلى تلقينه للأجيال الجزائرية في المدارس والمعاهد... مع التأكيد لهم على أن تاريخهم الحقيقي يبدأ من مجئ فرنسا للجزائر. و أنه مرتبطا بها لا تفصله حواجز الهوية ولا الجغرافيا !.. فالواجب على الجزائريين تقديم الشكر بل الولاء لفرنسا المحررة ! ؟ وقد جندت لهذا الغرض - كما أسلفنا – أقلاما فرنسية وجهت لكتابة تاريخ الجزائر- الفرنسي ! والنبش في الماضي الوثني؛ لربطه به متجاوزة مرحلة التاريخ العربي الإسلامي، واصفة إياها بمرحلة الظلامية والرجعية التي يجب قطع كل صلة بها.

انبرى لهذه المهمة التشويهية، مؤرخين، كتاب مستشرقون، ومترجمون... الخ؛ ساهموا في توظيف التاريخ الوطني الجزائري إبان الحقبة الاستعمارية و تقديمه على انه من صنعهم و من فضل فرنسا على الجزائر. من هؤلاء: " شارل روبير أجيرون " زعيم **"نظرية النخبة "** في تفسير التاريخ و"مونتران صاحب **"نظرية حضارة المتوسط "** ؛ التي يعزف على وترها اليوم كثير من الأصوات الناعقة من التغريبيين في بلادنا، و " فليسو" صاحب **"النظرية الماركسية"** في تفسير التاريخ الجزائري، إضافة إلى " استيقان غزال" المولع بالكتابة التاريخية القديمة - فترة ما قبل مجئ الإسلام- ... ومؤرخين يساريين يدعون التعاطف مع الجزائريين أمثال: "بن جامين سطورا " وهو من يهود الجزائر المتجنسين مولود بقسنطينة، " وجان بلانش"... وغيرهم كثير. (37)

هكذا أنشئت مدرسة استعمارية و**" منهج استعماري"** لكتابة التاريخ الجزائري(38) مارست النهب لتراثنا الأدبي والتاريخي، كما أحرقت وأتلفت ونهبت أعدادا لا تحصى من وثائقنا التاريخية وأشيائنا الثمينة؛ على رأسها: الوثائق التاريخية متمثلة في المخطوطات والكتب والرسائل... وتولوا ذلك خاصة حينما كانوا مسئولين عن المكاتب العربية أو معلمين في المدارس العربية والفرنسية بالجزائر، أو كانوا يشتغلون بالشؤون الإسلامية كمستشرقين.

نقلوها إلى مكتباتهم و دور أرشيفهم... فمنع على الجزائريين الوصول إليها بحجج قانونية تارة وتاريخية أخرى ؟ 39) ولا يزال الكثير منها حتى الآن محبوسا تبحث وتنتظر التحرير و الإفراج. لكننا نتساءل: هل آمن الجزائريون بهذه الطروحات الفرنسية الاستعمارية ؟ و كيف كان رد فعلهم تجاهها ؟

إن الواقع التاريخي يؤكد أن النخبة الجزائرية المثقفة ثقافة عربية إسلامية، المؤمنة بوطنها الجزائر، وانتمائها القومي والحضاري... كانت قد رفضت هذه الافتراءات ووقفت ضدها، كما انبرت للدفاع عن تاريخها وشخصيتها الوطنية. فبرزت كوكبة من المثقفين اهتمت بتصحيح هذا الزيف، و إحياء تاريخ الجزائر الثقافي والحضاري؛ كما الحفاظ على ذاكرة الأمة وهويتها الحضارية في وجه التشويه والتحريف و التزييف المنظم والشامل الذي مارسته المدرسة الاستعمارية الفرنسية. وكان من فرسان هذه المهمة الوطنية النبيلة:" الشيخ مبارك الميلي، توفيق المدني، وعبد الرحمن الجيلالي. وكلهم مؤرخين، ومعهم أدباء وروائيون أمثال: رضا حوحو، الربيع بوشامة، وسعد الله... وغيرهم. فجاءت كتابات أحمد توفيق المدني: **"كتاب الجزائر"** و **"قرطاجنة في أربعة قرون"**، و كتاب مبارك الميلي: **" تاريخ الجزائر في القديم و الحديث"** ؛ كلها بمثابة المعالم الهادية التي حاولت التصحيح، كما سعت إلى الرد على المنهج الاستعماري في كتابة تاريخنا الوطني، ومازالت الجهود قائمة ومتواصلة لمحو آثار الاستعمار الكولونيالي في هذا المجال.

خاتمة:

يمكن لنا في ختام هذه المداخلة المتواضعة أن نؤكد على فشل المشروع الثقافي الاستعماري في إقصاء المشروع الثقافي الوطني في أبعاده : الدينية، اللغوية، التعليمية، التاريخية... الخ. إلى جانب أبعاد الهوية الأخرى من مثل: التمسك بالوطنية الجزائرية حسا وانتماء، وبالروح والانتماء القومي و الحضاري العربي الإسلامي كأيديولوجية. ناهيك عن عجز المؤسسة التعليمية والثقافية الاستعمارية عن تخريج وإنتاج إنسان جزائري" أهلي" مرتبط بقيمها، ووجودها السياسي والحضاري المفروض بسلطة الزيف والتدليس، وبسلطان السيف والقهر المادي والمعنوي... بل إن خطابها التعليمي والثقافي الكولونيالي العنصري قد زاد الجزائريون تمسكا بكيانهم الوطني، وانتماءهم التاريخي، وعزز مناعتهم الوطنية. ناهيك على إصرارهم على التمسك بفكرة المقاومة كسلوك عملي، وموقف يومي تجلى في العديد من الأشكال: العسكرية، الفكرية، السياسية، وأخيرا الثورية بعد الحرب العالمية الثانية؛ وتحديدا مع قيام ثورة التحرير الوطنية عام 1954م. وهنا يمكن لنا أن نطرح جملة تساؤلات موضوعية تتعلق بالسياسة التعليمية – الثقافية الاستعمارية وعن: الأسباب التي أقنعت " الأهلي" الجزائري برفضها، وعن مدى قدرة المثقفين والنخبة الوطنية على التصدي لها ؟ وما مصدر تغذية وقوة هؤلاء جميعا ؟ وما مستوى إيمانهم بمستقبل الثقافة الجزائرية العربية الإسلامية ؟ وأخيرا حول المساهمة المقدمة ثقافيا لثورة نوفمبر 54 م قبل وأثناء قيامها؟.. أسئلة تظل مطروحة ومفتوحة للباحثين والمهتمين ليقدموا إجابات تاريخية شافية بشأنها، ولعل أن تتاح لنا فرصة بحثها في مناسبات علمية قادمة إنشاء الله؟

الهوامش:

1- د.أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط2 ، القسم 1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص263 2- د.أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، ج2 ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1990 ، ص 89

2- نفس المرجع، ص 108

3- مُحَمَّد العربي ولد خليفة، **المحنة الكبرى**، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر 1999 ص 29

4- مُحَمَّد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، ترجمة نجيب عياد ،صالح المثلوثي، ط ؟ موفم للنشر الجزائر 1994 ، ص 82

6- نفس المرجع، ص 87

7- نفسه، ص 96

8- فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، ط ترجمة أبو بكر رحال ؟ مطبعة فضالة المحمدية المغرب ؟ ص 04

9 - د. سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج3 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996 ص195

10- د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1 ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي- بيروت 1998 ص153

11- مُحَمَّد العربي ولد خليفة، **المحنة الكبرى، مرجع سابق، ص 29**

13- بسبب ما عمد إليه المستعمرون من إنشاء بدائل للمؤسسات الثقافية الوطنية تمثلت في مؤسساته الثقافية: كالمدرسة الفرنسية والكنيسة الكاثوليكية، ونشر اللغة الفرنسية، والمؤسسات الإعلامية، والمدارس المهتمة بالثقافة العربية مثل: مدارس المدية التي انتقلت إلى الجزائر وتلمسان و قسنطينة وتأسست سنة 1850. انظر سعد الله، المرجع السابق: ص 26 .27

14- نفس المرجع، صص 28-41

15 - د.العربي الزبيري، **المثقفون الجزائريون والثورة** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 08

16- د.أسعد السحمراني، **مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا**، ط1، دار النفائس، لبنان 1984، ص 35 ، تلا هذا القرار قرارات أخرى ، أخطرها قرار الجنرال بيجو الذي أصدره في 1843/03/23، القاضي بضم الأوقاف الإسلامية إلى إدارة أملاك الدولة.

17- كما كان موقف المفتي المالكي مصطفى الكبابطي الذي وقف في وجه قرار بيجو الآنف الذكر. أنظر سعد الله، مرجع سابق، ص 13

18- السحمراني ، مرجع سابق ص 37

19- د.أحمد محساس ، **التعليم و الثقافة خلال الحقبة الاستعمارية** ، مجلة الثقافة العدد :85-الجزائر 1995 ص:60 و أنظر كذلك: مُحَمَّد حربي، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض**، دار موفم للنشر ، الجزائر 1994 ، ص 91.

20- د.ناصر الدين سعيدوني، "**ثوابت الأمة الجزائرية بين الشعارات و الواقع المعيش**" ، كتاب:**الثورة الجزائرية أحداث وتأملات**، جمعية أول نوفمبر.دار الشهاب باتنة – الجزائر 1994،ص 264

21- فرحات عباس، **حرب الجزائر و ثورتها (ليل الإستعمار)** ، مطبعة فضالة ، المغرب(ب.ت)، ص 60

22-تركي رابح، "**وضع النساء و الفتات الجزائريات في التعليم**".. **مجلة الثقافة**، العدد: 84 الجزائر 1984، ص 177

23- جريدة البصائر، عدد:136 ، الصادرة بتاريخ :1938/10/21 م

24- د.أبو القاسم سعد الله، **منطلقات فكرية**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1976، ص 130

25- السحماني مرجع سابق ،ص 30 ، للتوسع أكثر في المسألة أنظر الجزء الرابع والخامس من كتاب الأستاذ سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** المشار إليه.

26- د.عمار هلال، **أبحاث** و **دراسات في تاريخ الجزائر** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص102

27- د.محساس، مرجع سابق، ص 73

28- هلال، المرجع السابق، ص 110-112

29- نفسه، ص 120-121

30- سعد الله **أبحاث و آراء**، مرجع سابق، ج2، ص 23

31- محساس ، المرجع السابق، ص 73 ،وأنظر أيضا:

Guy pervillie , préface de Mohamed Harbi :**les étudiants algériens de l université française (1880-1962)** , édition casbah, dépôt légal .Alger mai 1997.pp19-

32- عباس، المرجع السابق، ص:143

33- تركي، المرجع السابق، ص :178

35- سعد الله، **أبحاث و آراء**، ج1، المرجع السابق، ص 265 أنظر : البيان الفرنسي الموجه للسكان الجزائرية عشية الاحتلال 1830 ،ص 966

36- محمد خربي، مرجع سابق. ص:96 نقلا عن :

- Dossier de la délégation Française à L'ONU .G.C de

انظر أيضا :

l'Algérie, 1956 Charles de gaulle **.mémoires de guerre et.. d espoirs**, éditions Gallimard, d épot légal. imprime en France .p.p951-994

37- د.أبو القاسم سعد الله، **في الجدل الثقافي** ، دار المعارف ، تونس سوسة : 1993 ، ص 102-103

38- انظر بهذا الخصوص: سعد الله ، **أبحاث وآراء** ..الجزء 1 ، مرجع سابق، ص:13 و كذلك: د.جمال قنان، **أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر**، منشورات المتحف و المجاهد الجزائر 1999، ص 09 و ما بعدها